الامتلاء بحقيقة الألوهية

حقيقة الالوهية ...منهاج حياة

نماذج من تعامل الرسل والصحابة مع هذه الحقيقة

الحياة الدنيا هي حلقة وسيطة بين البداية والنهاية

بيان الله للإنسان الذي لا يعيش مع حقيقة الالوهية

الحمد لله وحده.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. محمد صلى الله عليه وسلم.. وبعد.

حقيقة الالوهية ...منهاج حياة

إن حقيقة الألوهية.. تتلخص في كلمات قلائل.. قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله ".. هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يصدر عنها كل مخلوق في هذا الكون فلا يجوز له إلا أن يلهج ـ ليس بلسانه فقط ـ إنما يلهج بحياته كلها أن " لا إله إلا الله " ... بحيث تكون كل حركة وكل تصرف.. وكل خاطرة.. وكل قول.. وكل سلوك.. وكل عمل.. لا بد أن يكون لتحقيق (لا إله إلا الله).. لذلك فالكون كله عابد لله عبودية صحيحة تماما.. ماعدا عالم الإنس والجن.. فأعطاهم الله الإرادة.. وحق الاختيار.

نماذج من تعامل الرسل والصحابة مع هذه الحقيقة

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.. كانوا على أعلى درجة من العلم واليقين بلا إله إلا الله.. وأعلى درجة من الشوق إلى الله ومع ذلك ظلوا جميعاً يشعرون أنهم لم يبلغوا شيئاً.. مما يستحقه الله جل وعلا.

إن الإحساس بعجز الإنسان أمام مقام الجلال الإلهي.. يولد الشوق الدائم إلى الله.. ويولد الحركة الدائمة في طريق طاعته.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعلم مكانته عند ربه وكان يعلم أنه أحب الخلق إلى الله، ولقد قال له عز وجل:

﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ ومع ذلك ظل أكثر الناس خوفاً وأكثر الناس عبودية وأكثر الناس محاولة للشكر.. ففي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال: " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه، فقيل له: أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: {أفلا أكون عبدا شكورا؟}، إنه الإحساس الدائم أن الله يستحق أكثر مما نفعل.

وهذا أبو بكر رضي الله عنه ـ أعظم الخلق بعد الأنبياء ـ يقول: " ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل"، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي قيل فيه ما قيل {لو بعث الله نبياً بعدي لبعث عمر}.. هذا عمر هو الذي يذهب إلى حذيفة بن اليمان فيقول له: أناشدك الله هل سماني لك رسول الله ممن سماهم لك من المنافقين؟

هؤلاء أناس كانوا يُبَشرُون بالجنة، وينزل فيهم قرآن يزكيهم، ومع ذلك يظلوا خائفين.. لأنهم يحاولون أن يقتربوا من معرفة حقيقة الألوهية وتمتلأ نفوسهم بها.. وكلما ازدادوا معرفة.. كلما ازدادوا حباً وشوقاً وخوفاً.. وكلما ازدادوا يقيناً.

فلابد من العيش مع حقيقة لا إله إلا الله عن طريق كتاب الله، ومن خلال كلماته، لأنها هي الرحيق الصافي، الذي إذا شربنا منه، فذلك الذي يوصلنا إلى لا إله إلا الله، إن التعامل مع الله، مهما قيل فيه فإن العبارة دائما لا توفي الحقيقة حقها.

ومهما قلنا من كلمات، تظل التجربة الشخصية، ويظل الانبعاث القلبي الخالص من كل إنسان، هو الأساس، فلا تنتظر من أحد أن يعطيك قلبه، كل إنسان له قلب مهيأ للاتصال بالله، ولا يحول بينه وبين الله شيء، ولو كانت الثمرة سهلة التناول لتناولها أي شخص ... لكن حينما تكون الثمرة عالية وأمامها مشاق ... فلا يصبر إلا من علت همته.. وعظم طموحه.

الحياة الدنيا هي حلقة وسيطة بين البداية والنهاية

حلقة يتحدد بعدها مصير الإنسان في الدار الآخرة، يقول تعالى:

﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾ إن المأساة الحقيقية.. ستكون في هذه اللحظات.. حينما يُقال للإنسان انتهى الأمر.

ولكن حقيقة الألوهية.. تتجلى في أن الله عز وجل.. يترك لنا الفرصة سانحة والباب مفتوحاً ... فلو عاش إنسان طوال حياته مشركاً يفعل كل الموبقات ويفسد كل الفساد ثم تاب.. سيتوب الله عليه..

ويدخل الجنة لو صدق في توبته وانتقل من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد.. وترك كل المعاصي التي كان يفعلها .... وقد رأينا ذلك الرجل الذي أسلم ومات في غزوة أحد ولم يصل ركعة واحدة ودخل الجنة.. إنها لحظة صدق انتقل بعدها.. من الظلمة إلى النور.. لقد انتقل إلى الجنة.

ولذلك لا أحد يستحق أن نخشاه.. ولا أحد يستحق أن نلجأ إليه.. ولا أحد يستحق أن نخاف منه إلا الله، لأنه يعلم عنا كل شيء.. ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾.. فالإنسان مطلوب منه أن يعيش مع حقيقة الألوهية ويمتلأ بها قلبه وكيانه كله.. فلا يجوز للإنسان أن يضيع لحظة واحدة من لحظات حياته في غير رضوان الله.. فالإنسان يستطيع أن يحول حياته كلها إلى طاعة وعبادة لله.. يستطيع أن يأكل لله.. ويشرب لله.. ويتاجر لله.. ويحب لله.. ويبغض لله.. ويتزوج لله.. كل ذلك يجب أن يكون لله..

بيان الله للإنسان الذي لا يعيش مع حقيقة الالوهية

فالإنسان الذي لا يعيش مع حقيقة الألوهية.. فلا يعبد الله حق عبادته.. ولا يوظف حياته وكيانه كله لله.. فإنه إنسان يلقي بنفسه إلى التهلكة.. لذلك يقول عز وجل بياناً لهذه الحالة:

﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾.. ففي هذه الآيات.. نجد التعبير القرآني يصف حال الإنسان الذي لا يعيش مع حقيقة الألوهية.. ويبين مآله ونهاية عمله.. وذلك في مشهدين عجيبين:

في المشهد الأول: يرسم أعمال الكافر كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة، ويلمع هذا السراب لمعاناً خادعاً فيتبعه صاحبه وهو عطشان ويتوقع أن يرتوي ويزول عنه العطش، وهو غافل عما ينتظره هناك، وعندما يصل، فلا يجد ماءً يرويه وإنما يجد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر له ببال، إنه وجد الله عنده!، الله الذي كفر به وجحده، وخاصمه وعاداه، وجد الله هنالك ينتظره، وهو سبحانه القوي الجبار المنتقم.. فوفاه حسابه.. هكذا في سرعة عاجلة.. والله سريع الحساب.

وفي المشهد الثاني: يصف الهول والخوف الذي يصيب الإنسان الذي لا يعيش مع حقيقة الألوهية، بظلمات كالبحر اللجي تتراكم فيه الظلمات بعضها فوق بعض، حتى إذا أخرج يده أمام بصره، فلا يراها لشدة الرعب والظلام!

إنه الكفر.. إنه ظلمة منقطعة عن نور الله.. وضلال لا يرى فيه القلب علامات الهدى.. ولا يحس بحقيقة الألوهية ولا يرى الضياء الذي ينبعث منها.. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.. ونور الله هدى في القلب.. واتصال بين الفطرة المستقيمة ونواميس الله في السماوات والأرض.. فمن لم يتصل بهذا النور.. نور الألوهية.. فهو في ظلمة لا انكشاف لها.. وفي ضلال لا رجعة منه.. وعمل نهايته سراب ضائع يقود إلى الهلاك والضنك والعذاب.. لأنه عمل ليس له صلة بهذه الحقيقة الكبرى.. حقيقة الألوهية.. هذه الحقيقة التي يتحدث عنها القرآن الكريم بشكل مستفيض.. يتحدث عن هذه الحقيقة.. وهي تتجلى في جلال الله وعظمته وهيمنته وحكمته وقدرته وعزته وعلمه الشامل المحيط.. فهو سبحانه يحكم هذا الكون ويدبر كل ما فيه.. فلا يند عن ملكه شيء في الأرض ولا في السماء.. وهو سبحانه خلق كل شيء وقدره تقديراً.. إنه سبحانه الإله الواحد الذي يدين له جميع المخلوقات بالخضوع والاستسلام.. فهو المالك سبحانه.. وكل شيء مملوك له سبحانه. **وهذه**

هي حقيقة الألوهية.. والامتلاء بهذه الحقيقة.. **يقود** الإنسان إلى الاستعداد الكامل لطاعة أمر الله ونهيه.. واتباع شرعه ومنهجه.. دون سواه وبلا شريك.. **ويؤدي به** في نهاية المطاف.. إلى السعادة في الدنيا والآخرة.